الشجاعة

الشجاعة هي: الإقدام تحت إشراف العقل للدفاع عن النفس أو عن أي عزيز لديها. فهي أن تقدّم حيث ترى الإقدام عزما، وتُحْجِم حيث ترى الإقدام حزما.[1] وهي صفة أساسية ترافق الإنسان في جميع حالاته، تدفعه إلى العمل لينال ما يريد. وليست محصورة في الرجال دون النساء، وليست مرتبة بضخامة الإنسان أو صغرها، وليست مقصورة على حمل السلاح ومشاهدة الحروب، بل هي داخلة في أمور كثيرة من الحياة والأعمال اليومية: فلا جهاد بدون شجاعة، ولا خطابة على المنابر بدونها، ولا أمر بالمعروف ونهي عن المنكر إلاّ بها.

وقد حثّ القرآن الشجاعة، فقال الله مثلا في أمره القتال في سبيل الله والثبات عليه: "وَقَٰتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ" [سورة البقرة (٢): ١٩٠]، وقال: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ" [سورة الأنفال (٨): ١٥]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف". [رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه].[2]

---

[1] مصطفى الغلاييني، عظة الناشئين، ص. ٢١. وقارن: أحمد أمين، كتاب الأخلاق، ص. ١٥١.

[2] قال النووي رحمه الله: والمراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة. فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداماً على العدو في الجهاد، وأسرع خروجاً إليه وذهاباً في طلبه، وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك، واحتمال المشاق في ذات الله تعالى، وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات، وأنشط طلباً لها ومحافظة عليها، ونحو ذلك. الإمام محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ج. ١٦، ص. ٢١٥.

والشجاعة صفة معتدلة واقعة بين صفتي الجبن والتهور. ففي الجبن تفريط، وفي التهور إفراط، وفي الشجاعة السلامة.[3]

والجبن: الخوف مما لا ينبغي أن يخاف منه،[4] وهو الخوف غير المنطقي. وهو ما تأصّل في نفوس الأمة إلاّ ضرب عليهم الذلة والمسكنة، فباءوا بالوضاعة والخمول،[5] لأنه داع إلى عدم الظفر بالمطلوب.

والتهور: الإقدام على العمل قبل التروي أو عدم النظر في العاقبة. وذلك سبب لعدم التوفيق ومُدَّعٍ للخيبة ومضيَّع للوقت. فالذي يحدد مسارها الصحيح هو العقل. فالإقدام بغير عقل جنون. قال المتنبي:

الرأي قبل شجاعة الشجعان ❁ هو أوّل، وهي المحلّ الثاني

فإذا هما اجتمعا لنفسٍ حرّةٍ ❁ بلغت من العَلياء كلَّ مكان.[6]

[**قصة**] قيل: إن عنترة بن شداد (أشهر فُرْسان العرب وأحد شعراء العرب المشهورين قبل الإسلام) هرَب من ثَوْر... فسئل: "أين شجاعتك؟ أتخاف من ثور، وأنت عنترة؟!" فقال: "وما يدري الثور أني عنترة؟!"

فمصدر الشجاعة العقل الصحيح، والإيمان الصادق، والثقة بالله، وضبط النفس وعمل ما ينبغي. فلا تكون الشجاعة موضع إعجاب وتقدير إلاّ إذا استخدمها في تحصيل خير أو دفع شر. فليس من شجاعة في فعل الشر، لأنه تهور.

---

[3] عظة الناشئين، ص. ٢١. والتفريط: التضييع، والإفراط: مجاوزة الحد.

[4] ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق، ص. ١٣.

[5] عظة الناشئين، ص. ١٨.

[6] شرح ديوان المتنبي، ج. ٤، ص. ٣٠٧؛ وابن قيم الجوزية، الفروسية المحمدية، ص. ٤٧٢.

والجبن خلق مذموم عند جميع الخلق. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ بالله من الجبن، فقال: "اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل..." [رواه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه]. وأهل الجبن هم أهل سوء الظن بالله. وأهل الشجاعة والجود هم أهل حسن الظن بالله.[7]

والنبي صلى الله عليه وسلم -كما وصفه أنس بن مالك رضي الله عنه- كان أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس [متفق عليه]. والتاريخ أيضا مملوء بذكر كثير ممن ضحوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل قوة الحق ونصرته، وصبروا على الآلام عشقا للحق، كما كان لإبراهيم وموسى وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

وكان أبو بكر أشجع الناس بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، كما أقرّه أحدُ أشجع فوارس الأمة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، لـــمَّا سأل الناسَ: "من أشجع الناس؟" فقالوا: "أنت". فقال: "أما إنه ما صرعني أحد إلا غلَبته، لكنه أبو بكر..."[8] وذلك لِما كان له من الإيمان الكامل وثبات القلب عند

---

[7] ابن قيم الجوزية، الفروسية المحمدية، ص. ٤٥٧ و٤٦٥. وقال ابن قيم الجوزية: والشجاع ضد البخيل، لأن البخيل يضنّ بماله، والشجاع يجود بنفسه، كما قال الشاعر:

تجود بالنفس إن ضنّ البخيل بها ❀ والجود بالنفس أقصى غاية الجود

[8] وذكر السيوطي في تاريخ الخلفاء: وأخرج ابن عساكر عن ابن سيرين: أن عبد الرحمن بن أبي بكر كان يوم بدر مع المشركين. فلما أسلم، قال لأبيه: "لقد أهدفتَ لي يوم بدر، فانصرفتُ عنك و لم أقتلك". فقال أبو بكر: "لكنك لو أهدفتَ لي لم أنصرف عنك."

قال علي رضي الله عنه: إنه لما كان يوم بدر، جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشًا. فقلنا: "من يكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا يهوى إليه أحد من المشركين؟" فو الله، ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهرًا بالسيف على رأس رسول الله عليه السلام، لا يهوى إليه أحد إلا هوى إليه؛ فهو أشجع الناس.

النوازل الذي هو أساس الشجاعة، كما شهد له ثباتُه عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم تصميمه على محاربة المرتدين ومانعي الزكاة.

والشجاعة كما هي من الفضائل والأخلاق الحسنة لا بد من أن تكتسب لأن تكون قوية ومرسوخة في النفوس. وذلك بأن تمارس وتدرب وتتمرَّن عليها بالتعرض للمواقف الصعبة التي لا يتخلص منها إلا بالشجاعة. قال المتنبي:

وما تنفع الخيل الكـــرام ولا القَنا ۞ إذا لم يكن فوق الكـــرام كـــرام

ومن ذلك أن يطلع على سير وقصص الشجعان للاقتداء ومحاولة التشبه بهم.

[فائدة] وقيل لأبي عبد الله البطّال: "ما الشجاعة؟" قال: "الشجاعة صبر ساعة." وذلك لأن الصبر مفتاح الفرج. وأفضل ما يمثله ويبينه ما يرويه أهل الأدب عن عنترة بن شداد أنه قيل له: "بما غلبت العرب في المعارك؟" قال: "ناولني أصبعك، وخذ أصبعي، وعَضَّ وأَعَضُّ..." فأدخل كل واحد أصبعه في فم صاحبه، ثم قال له: "عَضّ." فعضّ ذاك، وعض هذا، فقال الرجل: "أح..." فقال عنترة: "لو صبرت قليلا لصِحت أنا..."

وقال علي رضي الله عنه: لقد رأيت رسول الله -عليه الصلاة والسلام- وأخذته قريش، فهذا يَجَؤُه (أي يدفعه)، وهذا يتلتله (أي يحركه)، وهم يقولون: "أنت الذي جعلت الآلهة إلها واحدا؟" قال: "فو الله، ما دنا منا أحد إلا أبو بكر. يضرب هذا، ويجأ هذا، ويتلتل هذا، وهو يقول: "ويلكم! أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ؟!" [سورة غافر (٤٠): ٢٨]. ثم رفع على بردة كانت عليه، فبكى حتى اخضلّت لحيته ثم قال: "أنشدكم الله، أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر؟" فسكت القوم، فقال: "ألا تجيبوني؟ فوالله، لساعةٌ من أبي بكر خير من ألف ساعة من مثل مؤمن آل فرعون. ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه.

جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، (دولة قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٣٤ هـ/٢٠١٣ م)، ص. ١١١.

ومن أفضل الشجاعة الصراحة في الحق، وكتمان السر وحفظه، والإقرار بالخطأ والاعتراف به، والانتصار للغير، والإنصاف من النفس، وملكها عند الغضب. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب." [متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه].

ومنها القدرة على التفكير خارج الصندوق. والمراد هنا تفكير إبداعي وتفكير نقدي، بأن يتخذ القرار أو الحكم أو القانون بالوقوف مع الحق لا مع الذات السفلى كالشهوات. وذلك بأن يدقق النظر في منافع الأشياء ومضراتها وراء القرار.

ومنها الشجاعة الأدبية. وهي أن يبدي الإنسان رأيه بما يعتقد أنه الحق، وإن نالته عقوبة، أو تألّم منه الناس. وهي التي يَردّ بها الظالـــمَ عن ظلمه والغاويَ عن غيّه، ويرشد الأمة بالعظة الناجعة إلى سبيل القويمة.[9] وهي التي تدعو الرجل إلى أن يؤدي الشهادة على نحو ما علم دون أن يَهاب عند أدائها ذا جاه أو سلطان. وذلك كما في الحديث: "أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر." [رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه]

ولما كانت الشجاعة شاقة على النفس أمر المؤمنين بالذكر حتى يثبت القلب على اليقين، قال الله تعالى: "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" [سورة الأنفال (٨): ٤٥]. وذلك كما يقول صاحب طالوت عند جالوت: "وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ" [سورة البقرة (٢): ٢٥٠].

---

[9] عظة الناشئين، ص. ٢٧.

ومن الجبن السكوت على عمل من يريد بالأمة السوءَ والإفساد، لأن مناهضة الظالم من دلائل حياة الأمة. فإن فُقِدت الشجاعة من هذا العمل تمادى الجائرُ ووقعت الأمة في أسفل الدركات.

أما الطرق لعلاج الجبن هو التفكر في آثاره السلبية وعواقبه الوخيمة على الفرد والمجتمع. وذلك لأن من أسباب الجبن الجهلَ وقلة المعرفة بما في حقيقة الأمور. ومنها السعي إلى قطع دوافع وجذور هذه الرذيلة من واقع النفس. وذلك بأن توقظ النفس التي تمرض هذا المرض —مرض الجبن- بالهز والتحريك، والتجربة وارتكاب الفعل المخوف مرة بعد أخرى، حتى يصير ذلك له عادة وطبعا. ومنها أن يعيش الإنسان بطهر ونقاء من شوائب الرذيلة والأعمال الذميمة. وذلك لأن الأشخاص الملوَّثين بالرذيلة والذميمة يخافون غالبا من نتيجة أعمالهم.